

## تقديم

رحم الله السابقين الأولين من المؤلفين حيث أتاحوا لنا معايشة طائفة كانت ترصد الموائد والطعوم كما يرصد الفلكيون الكواكب والنجوم .  
وإذا كانت الفكاهة ضرورية بين ألوان الطعام ، فإن الفكاهة لون لا يُستغنى عنه بين ألوان العلم والتاريخ والأدب .

و «التطفيل» و «الطفيليون» ظاهرة جذبت انتباه عمالقة التأليف من أمثال :  
الجاحظ ، وابن عبد ربه ، والخطيب البغدادي ، وابن قتيبة ، وبديع الزمان  
الهمداني ، فراحوا يفردون لها أبوابا في أمهات كتبهم ومؤلفاتهم ، يقدمون فيها طائفة  
من النوادر الطريفة ويستخلصون منها العبرة ، وينقلونها من العلم إلى الأدب إلى  
الفكاهة ، إلى الفلسفة ، ثم إلى الحياة المرحية حياة «التطفيل» وكيف لا ، وصورة  
«الطفيلي» — وقد دعا نفسه إلى الطعام دون أن توجه إليه دعوة — ماتزال تبعث في  
النفس ألوانا من السخرية والضحك والمرح والتفكه ؟!

وما أشد حاجتنا اليوم إلى لحظات استجمام من ضغوط الحياة ، وشتى ألوان  
المعاناة !

ولم تنزل أفاضل الناس وأكابرهم تعجبهم المُلح ، ويؤثرون سماعها ، ويَهْشُون إلى  
المذاكرة بها ، وما ذاك إلا لأنها جِمامُ النفس ، ومُستراح القلب ، وإليها تُصغى  
الأسماع عند المحادثة ، وبها يكون الاستمتاع في المؤانسة .

وما أصدق ما قاله الأصمعي :

«النوادر تشحذ الأذهان ، وتفتح الآذان !»

وإنك لو اجد في هذا الكتاب عرضاً جديداً لأخبار الطفيليين ، وأول من سمي به  
في ماضى السنين إلى غير ذلك من نواذر فائقة ، وأشعار رائقة .

إنه رحلة إلى عالم مليء بالأخبار والأسرار ، تتابع فيه الطفيليين من دار إلى دار ،  
وهم يتشتمون هنا وهناك رائحة القطار ، لا يهدأ لهم بال ، ولا يستقر لهم قرار !!  
وأملى أن أكون قد وفقت فيما اخترت ، وأحسننت فيما عرضت !

والله ولى التوفيق .



## أولاً : المؤلف

أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف الأفقهسى، ثم القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن العماد شهاب الدين أبو العباس . فقيه مشارك فى بعض العلوم . ولد قبل ٧٥٠ هجرية ، وتوفى فى إحدى الجمادين . صنف التصانيف نظماً ونثراً منها :

- ١ — كشف الأسرار عما خفى على الأفكار .
  - ٢ — عدة شروح على «منهاج العارفين» فى فروع الفقه الشافعى .
  - ٣ — نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها .
  - ٤ — آداب الطعام .
  - ٥ — أحكام الحكم فى شرح الحكم العطائية .
  - ٦ — توقيف الحكم على غوامض الأحكام .
  - ٧ — السر المستبان مما أودعه الله من الخواص فى أجزاء الحيوان .
  - ٨ — التبيان فى آداب حملة القرآن « منظومة » .
  - ٩ — « نيل مقصر — خ » فى مكتبة الحرم المكى .
  - ١٠ — « الذريعة فى أعداد الشريعة — خ » .
- نسبته إلى أفقهس من عمل البهنسا بمصر .



## ثانياً : الكتاب

أخبار الطفيل والطفيليين نجدها متناثرة في كتب التراث ، فلا يكاد يخلو كتاب من طرائفهم ونوادرهم .

ولقد تصدى الخطيب البغدادي للطفيل وحكايات الطفيليين ، وأخبارهم ، ونوادرهم ، وأشعارهم في القرن الخامس الهجري على طريقته من ذكر السند وإن طال — مما قد يدفع بالقارئ إلى الملل في سبيل الوصول إلى النادرة .

ولكن جاء بعده «العماد الأقفهسي» في القرن الثامن الهجري وبداية التاسع فقدم لنا هذا العرض الجميل و«القول النبيل بذكر الطفيل»! مستفيداً من خبرة الحافظ المؤرخ البغدادي ، وابن عبد ربه ، والجاحظ وابن قتيبة ، فأحسن العرض ، وأجاد التأليف ، وجاء على الصورة التي تُسهم في متعة القارئ دون إملال ، أو إخلال ! لقد جرد النص ما استطاع من أسانيده رعاية لطبيعة الموضوع ، وحرصاً على جذب انتباه القارئ ، وقدمه في أربعة وعشرين باباً حلق فيها حول كل ما تناولته كتب السابقين ، وما يدور بخلد اللاحقين في موضوع الطفيل ، فأجاد وأفاد ، وأقنع وأمتع ، وأحسن وأبدع !

من حق الإنسان ، وقد طحنته الحروب ، وشغلته مشكلات الحياة أن يستروح بشيء من التفكيه ، لتكون الراحة لذلك الجد جماماً .

وما علينا من حرج في أن نرفه به أنفسنا ، ونسلي عنها لنعود إلى ما كنا فيه من جد وعمل !

وأحاديث الطفيل والمتطفلين باب من أبواب أدبنا العربي ولقد ذكر العرب الأشياء بأسمائها :

فمن يتعرض لطعام الناس من غير أن يدعى إليه فهو «الطفيلي» .

أما الداخل في شرايهم من غير دعوة كذلك فيدعى «الواغل» .

ومثلها «الدعوى» وهو الداخل في نسب القوم وليس منهم والطفيليون نسبة إلى رجل يدعى «طفيل العرائس» ولقد زعموا أنه أولهم فإنه كانت نسبتهم .

وأكبر الظن على أن التطفيل قديم جدا قدم الشره في الإنسان ، وهوان نفسه عليه ، وتطلعه إلى ما ليس له ، ولو كان طعاما ، وتهافته عليه مُشَايَعَةً لشهوة البطن مهما ناله في ذلك من مكروه أدنى أو مادي .

وربما كان عقد لواء الأولية في هذا الباب لـ «طفيل العرائس» لأنه أول من شرع آدابه ، واستفتح بلطف الحيلة أبوابه ، وقعد قواعده ، وأصل أصوله ، وفرع فروعه ، وفصل فصوله ، ومن روائع حكمه ، وجوامع كلمه ما قال يوصى به صحبه :

«إذا دخل أحدكم غرسا فلا يتلفت تلفت المريب ، ويتخير المجالس ، وإذا كان العرس كثير الزحام فليمعن ، ولا ينظر في عيون الناس ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل ، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة .

فإذا كان البواب غليظا وقاحاً فليبدأ به ويأمره وينهاه من غير أن يعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال»

وسوف يجد القارئ أن التطفيل قديم ، ولكن أساليبه تتشكل وتتلون في كل عصر وفي كل إقليم طوعا لما يجرى من العرف والعادة وغير ذلك من الأسباب .

والسمة الغالبة على أهله هي : الشره ، وحدة الوجه ، ولؤم النفس ، وهوانها على صاحبها وعلى الناس فما يدفع إلى التطفيل إلا هذه الخلال .

أما الصفات التي يحتاج إليها الطفيلي وتعد أهم وسائله : فهي خفة الروح فإن أعوزته فالتظرف بالقدر المستطاع ، وسعة الحيلة ولطف المدخل ، وحسن السمات ، ونظافة الثوب ، وحضور الذهن ، وبراعة النكتة ، فإذا اجتمع إلى هذا وذاك إلمام بالأدب وبالسير ، وإذا ضمت إليهما القدرة على ارتجال الشعر ما دعت مناسبات الطعام فذلك والله الطفيلي التام !

وإذا كان أدبنا العربي قد جلا على الناس كل ما في هذا العالم من جميل وبديع في ظواهر الأشياء وبواطنها ؛ فإنه ربما مال إلى القبيح في ظاهره وباطنه معا فسوى منه

صورا لها جمالها ولطفها في باب التمليح والتفكيك !  
أليس البخل في الناس قبيحا جدا ، ومع هذا يأبى الأدب إلا أن يجعل من البخل  
والبخلاء بابا من أوسع أبوابه ، وأبلغها في إعجابه وإطرابه !  
والتطفيل ولاشك أقبح من البخل وأكره وأرذل ، ومع هذا نال حظه من  
الأدب .

وسوف نتوقف عند نوادر الطفيليين ، وربما يبدو أن بعضها ليس إلا حديثا  
مصنوعا ، لسعة خيال الرواة ، ولكنها على أى حال تعطينا صورة لمهنة التطفيل ،  
ومهارة أصحابه فيه .

أليس رائعا وجميلا أن تعيش مع طائفة من ملحمهم ونوادهم ، وما قيل فيهم ، وما  
قالوه في أنفسهم ، وردودهم على من عاب عليهم تطفيلهم ، ولطف احتجاجهم  
لاقتحامهم على الناس موائدهم ، وتهافتهم على طعامهم من غير دعوة إليه ، وتعرضهم  
في هذا لألوان المكروه من الشتم والسب والطرد والضرب .

وقد ظل الطفيليون المحترفون يمارسون وجودهم تحتى الجيل الماضى ، ثم خلا وجه  
البلاد منهم بذهاب العادة التى كانت شائعة فى بلادنا إلى وقت قريب ، وهى إقامة  
الأعراس (الأفراح) وما إليها مما كان المصريون يتنافسون فيه ، ويتكاثرون به فى  
المناسبات المختلفة من نحو العودة من الحج ، وختان الولد ، وولادة البكر من البنين  
وغير ذلك .

ولقد كان الطعام يقدم على أخونة «الصوانى» يرص حول كل منها من نحو ثمانية  
إلى اثنى عشر .

وتختلف ألوانها باختلاف درجات المدعوين وأفخرها ما يصدر بالحمل (القوزى)  
أو الديك الرومى .

ويسلك فيه الحمام والفراريح تطهى على أشكال . وتقرب «المسبكات» من ألوان  
الحضر .

ويستكثر من صنوف الحلوى .

ويخص أخيرا بالفاكهة . ودون هذا ما يُصَدَّر بالضلع .. — !  
وهكذا إلى أن تقتصر مطالع الموائد على القطعة من اللحم لا يملاً نصيب الآكل منها  
الكف .

وهذه الموائد تعد لعامة الناس !  
والطفيل لايقنع بالوجبة على المائدة ، بل يدس في جيبه كل ما تيسر له من  
اللحم ، والحاشي ، والحلوى ، والفاكهة ، يحمل ذلك كله معه طمعا وجشعا وتحسبا  
ليوم لاموائد فيه !  
كل ذلك تجده في «القول النبيل بذكر التطفيل» ولقد حاولت جهدى أن أحسن  
عرضه ، وأجلو غامضه ، وأقدمه للقارئ في أجمل صورة راجيا أن أكون قد وفقت  
فيما قصدت ، وأن تستمتع بالقول النبيل بذكر التطفيل .

### مخطوطات الكتاب

مدى علمنا أن هذا الكتاب لم يسبق طبعه ، وليس هناك ما يمكن الاعتماد عليه غير  
التطفيل للحافظ المؤرخ الخطيب البغدادي

والكتاب له مخطوطتان تكادان تشتركان في الملامح والصفات الجوهرية مما يوحى  
بأن إحداها اعتمدت على الأخرى أما المخطوطة الأولى فرقم ٩٦٠ أدب تيمور على  
ميكروفيلم رقم ٢٣٦٠ .

عدد الصفحات : ٤٣ عدد السطور بكل صفحة ٣٢ سطرا

المخطوط بخط جيد ومقروء ، وروعت فيه بعض علامات الإعراب  
أما المخطوطة الثانية

فتحت رقم ١٩٤ / الزكية

عدد الصفحات ٦٩ عدد السطور بكل صفحة ٢١ سطرا

### مصطفى عاشور

جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

القاهرة في يناير ١٩٨٩ م

## كتاب القول النبيل بذكر النطفيل

١ الباب الأول في معنى النطفيل في اللغة وأوله من نسب إليه

٢ الباب الثاني في ما لا يتبع به النطفيل في الجاهلية

٣ الباب الثالث في الموائع وأدبها

٤ الباب الرابع في الخمر والرقاق وما قيل فيها

٥ الباب الخامس في اللحم ونوعه

٦ الباب السادس في القصور والأولاد

٧ الباب الثامن فيمن دعي إلى طعام فأراد أن يستحب

٨ الباب التاسع فيمن طفق على يد السيل عليه الصلاة والسلام

٩ الباب العاشر فيمن عدا إليه وأمنح لأهله وأولادهم

١٠ الباب الحادي عشر في التغليب على من أقر طعاماً لم يتبع إليه وذكر آداب الضيافة

١١ الباب الثاني عشر فيمن عدا إليه من النطفيل ولم يصح

١٢ الباب الثالث عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٣ الباب الرابع عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٤ الباب الخامس عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٥ الباب السادس عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٦ الباب السابع عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٧ الباب الثامن عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٨ الباب التاسع عشر فيمن أهدى النطفيل غيره فاستأجره أو بطل إليه

١٩ الباب العشرون في منع القناعة

٢٠ الباب الحادي والعشرون فيمن دهم النطفيل وأصحابه وهما به غيره وعابه

٢١ الباب الثاني والعشرون في أشعار النطفيليين

٢٢ الباب الثالث والعشرون في غرر نوازل طعاميات

٢٣ الباب الرابع والعشرون في شج من ثلث الحكمة والأطباء في الوقول من الطعام

الجمعة الأولى من المخطوط

## مقدمة المؤلف

الحمد لله ، الكريم المنان ، الواحد الفرد ، ذى الجود والإحسان !  
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، مالك الملك الدّيان ، الذى ميّز  
بين عباده ، وخصّ من شاء منهم بوافر البرهان .  
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذى خصّ أمته بيزيد الغفران .  
صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، وشيعته ، ووارثيه<sup>(١)</sup> وحزبه ، ما ترنحت  
أعطاف البان<sup>(٢)</sup> ، وتمايلت عرائس غرائس<sup>(٣)</sup> الرياض ، برياح البُكروالآصال<sup>(٤)</sup> فى كل  
زمان ، وسلّم تسليمًا كثيرًا .

وبعد ..

فهذا كتاب ظريف ، محتوٍ على معنى لطيف جمعته فى : أخبار الطفيليين وأول من  
سمى به فى ماضى السنين إلى غير ذلك من نواذر فائقة ، وأشعار رائقة وسميته :

«القول النبيل بذكر التطفيل»

ورتبته على : «أربعة وعشرين باباً»

فأقول :

الباب الأول — فى معنى التطفيل فى اللغة ، وأول من نسب إليه .

الباب الثانى — فىمن كان يُسمّى طفيلًا فى الجاهلية .

الباب الثالث — فى الموائد وآدابها .

الباب الرابع — فى الخبز والرقاق .

(١) وارثيه : وارثى سنته وشريعته ، من شيعته وأنصاره ، وآل بيته الأطهار . أما الميراث المادى فقد قال ﷺ :  
«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة» .

(٢) البان : شجر معتدل القوام ، يميل مع النسيم حيث يميل فى خفة ورشاقة وورقه كورق الصفصاف ، ويشبه به  
الحسان فى الطول واللين .

والأعطاف : جمع عطف . وعطف كل شئ جانبه . وترنحت : تمايلت ذات اليمين وذات الشمال .

(٣) الغرائس : الأشجار المغروسة . وعرائس الروض : أشجار الحدائق الجميلة التى تشبه العرائس فى جمالها  
وتمايلها .

(٤) البُكر : جمع بُكرة : أول النهار والآصال : جمع أصيل . الوقت قبيل المغرب . والمراد : الصلاة على النبى فى  
كل وقت وحين .

الباب الخامس — في اللحم بأنواعه الباب السادس — في القدور والألوان .

الباب السابع — في الحلوى بأنواعها .

الباب الثامن — فيمن دعى إلى الطعام ، فأراد أن يستصحب غيره .

وأن السنة استئذان الداعي له في ذلك .

الباب التاسع — فيمن طَفَّلَ على عهد رسول الله ﷺ

الباب العاشر — فيمن حمد التطفيل ، واحتج لأهله ، وذكرهم بكل جميل .

الباب الحادى عشر — في التغليظ على من أتى طعاما ، ولم يُدْعَ إليه .

الباب الثانى عشر — فيمن عَرَضَ بالتطفيل ، ولم يصرح .

الباب الثالث عشر — فيمن أحبَّ تطفيل غيره ، فسهل السبيل إليه .

الباب الرابع عشر — فيمن صرف إلى التطفيل همه ، وجعل ذلك صناعة

وحرقة .

الباب الخامس عشر — فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول .

الباب السادس عشر — فيمن طَفَّلَ من الأشراف ، والأكابر ، وأهل العلم

والأدب .

الباب السابع عشر — في وصايا الطفيليين .

الباب الثامن عشر — في أخبار « بنان » الطفيل ، وشأنه بالبصرة ، وما حفظ عنه

من رسوم التطفيل ، وحدوده ، وأحكامه .

الباب التاسع عشر — في الضيافة والضييف .

الباب العشرون — في القناعة .

الباب الحادى والعشرون — فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجابه غيره ،

وعابه . الباب الثانى والعشرون — في أشعار الطفيليين .

الباب الثالث والعشرون — في غرر نوادر طعاميات .

الباب الرابع والعشرون — في نكت الحكماء والأطباء في الإقلال من الطعام .

وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .